

جميع عقل

مسألة النجبة في السر

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

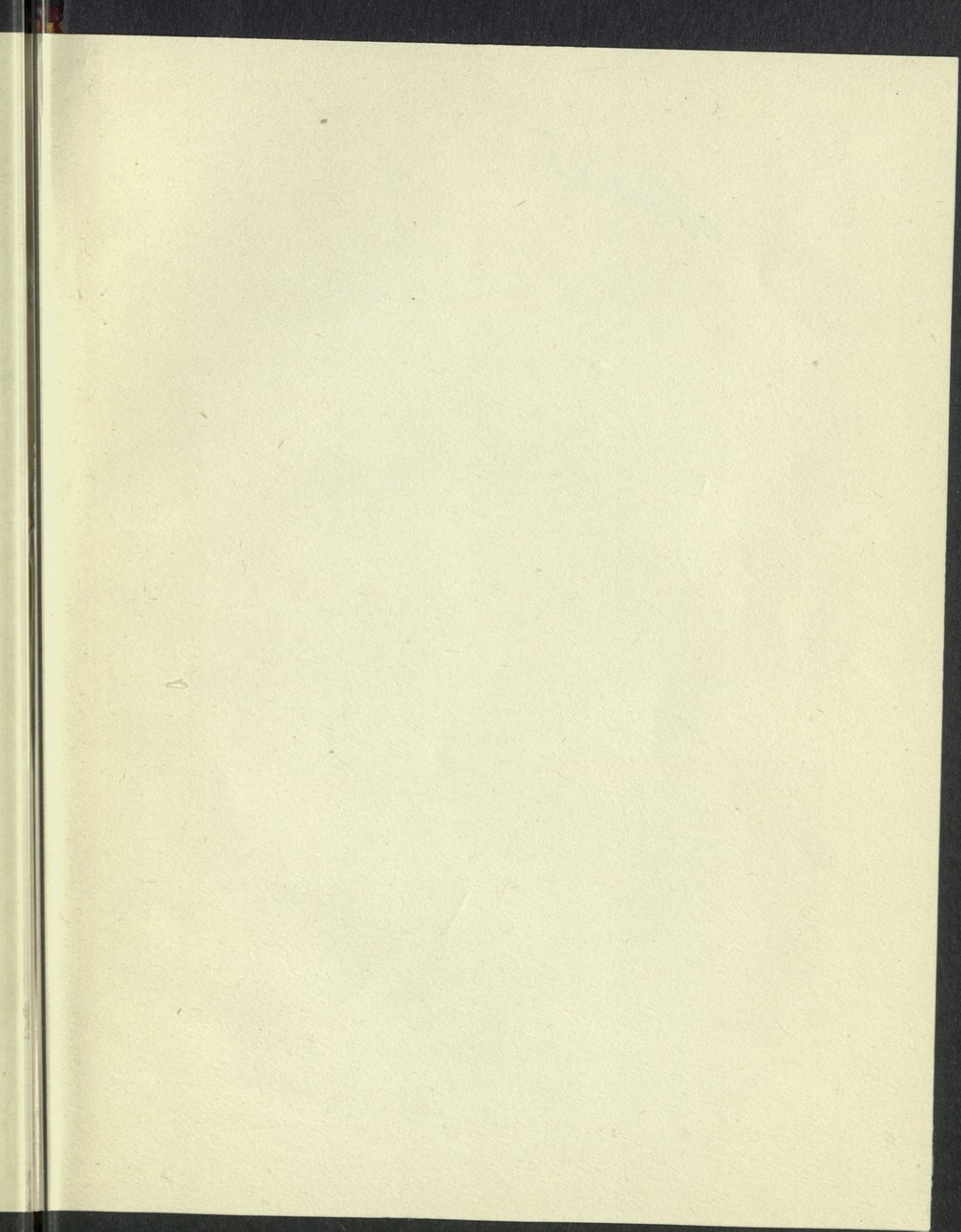
AUB. LIBRARY

American University of Beirut
University Libraries



Donated by
Constantine K. Zurayk

AUB. LIBRARY



مشكلة النخبة في الشرق

للمؤلف



١٩٣٥	مأساة شعراً	بنت يفتاح
١٩٣٧		المجدلية
١٩٤٤	مأساة شعراً	قدموس
١٩٤٧	طبعة ثانية	
١٩٥٠		رندلى

سعيد عقل

CA: AUB

305.552

AGG5mA

c.2

مكتبة النخبة في السيرة

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

محاضرة ألفت في الجامعة الأميركية بيروت
في ١٣ كانون الثاني ١٩٥٤
واستعيدت في الكنائس اللبنانية بيروت
في ١٨ آذار ١٩٥٤

الطبعة الأولى
بيروت ٣ نيسان ١٩٥٤

منذ ولدت الكشفية وأبصرت نور الحياة ولدت
معها فكرة تكوين النخبة . هذه النخبة التي يقول
فيها شاعرنا الكبير سعيد عقل : « ليست النخبة
افراداً افذاذاً بما هم افراد افذاذ . ولا طبقة مثقفين
بما هم طبقة مثقفين ، انها جسم حي ، ذو معرفة
في مستوى المصائر الكبيرة ، واع ذاته ودوره في العالم . »
و « الكشف » جرياً وراء هذه الحقيقة الساطعة
وسعيّاً نحو رسالتها الكبرى يسرها ان تلقتني بالشاعر
الكبير في نقطة واضحة المعالم وان تنطلق معه يدّاً
بيد في سبيل الهدف النبيل .

ومن هنا كانت فكرة طبع هذه المحاضرة القيمة
التي ألقاها الشاعر في جامعة بيروت الاميركية
والاستعاضة بها عن عشرين كاملين من اعداد « الكشف »
هما العددان ٤٣ و ٤٤ .

ووضعها بين يدي القراء تعبيراً للفائدة المرجوة .
و « الكشف » بعد ذلك لفخورة بان تكون باكورة
منشوراتها هذه الدراسة القيمة لمشكلة النخبة في شرقنا
العربي .

«الكشاف»

الى صديقي أحمد عسه
الذي يعرف ان يجعل طموح
بلاده في مستوى المصائر الكبيرة.

الى فيثاغورس ، أحدِ عليّة العقول في جميع الأزمنة ،
يرقى القول : « سأخاطب الحكيم فأبعدوا الجُهَّال » .
إذن منذ عهد باعدٍ في القدم ، شعر سراً الفكر بان
العامة خطر على اصحاب التعاليم الرفيعة .
يبد ان تطوراً هاماً حصل . فبتنا اليوم وخطرُ
الجُهَّال على القيم الكبيرة نستغلُّ لصالح تلك القيم
نشحذها عليه ونزيدها مضاء . وهكذا لم يتحفظ أينشتين
في ركز كونه على نواميس تناقض الحس العام ،
كما لم يتكتم نيتشه في نظريته الاحادية الى الوجود .
ذلك لا لأن العامة — في اوروبا نفسها — ارتقت

كثيراً عما كانت عليه عهد الاضطهادات الدامية ، بل
لان النخبة تكوّنت . تكونت فراحت تُشكّل حول
صاحب الرأي الجديد — مُحِقّاً كان أم مخطئاً — دِرعاً
يقيه ثورة الخصوم : ثورتهم على شخصه فلا يُمسّ
— وما ذلك بشيء هام — وثورتهم على افكاره ، فلا
تُخنق في فيه — وهو هو الأمر الأساسي — بل
توكل الى المحكّ المختص وحده ، يُتوجّها او ينتقي
منها ما صلح او يدحضها جميعاً ، مُمهّداً لعمل النسيان
يأتي عليها في الغد .

لا لم تبق الخاصة في عصرنا تخشى تقمة العامة .

بشرط واحد :

ان تكون هذه الخاصة موجودة .

أين نحن في الشرق من تَكُون النخبة ؟
 قد يتبادر الى الذهن ، جواباً على هذا السؤال ،
 أنَّ في الشرق جامعاتٍ ومؤسسات تَمَدُّن ، إذن
 طائفة من الاساتذة وذوي الاختصاص ، مِمَّا يَضمَن ،
 بالنتيجة ، وجودَ النخبة .
 رأيي ، في نظرنا ، أشدُّ خطراً على مصاعب الشرق
 من عَدَم وجود النخبة . لانه يجعلنا نَكُفُّ عن لَمِّ
 مشتاتها أو إطلاعها من عدم .
 ليست النخبة افراداً أفذاذاً بما هم افرادُ أفذاذ ،
 ولا طبقةٌ مُثَقِّفِينَ بما هم طبقةٌ مُثَقِّفِينَ . انها جِسمٌ
 حيٌّ ، ذو معرفةٍ وخلقٍ في مستوى المصائر الكبيرة ،
 واعٍ ذاته ودوره في العالم .
 كجسم ، تتحرك النخبة وفق نواميس تموت إن

هي تركتها تهزل او تتضعع . وكجسم حيّ ، ما
هي كالألة تستقبل الوجود وانما كالانسان تقصد
الوجود . وكذات معرفة وخلق في مستوى المصائر
الكبيرة ، لا تجهل شيئاً بلغه العقل في آية بقعة من
بقاع الأرض ، ولا تفتقر الى شيمه تحلي بها في آية
رقعة من رقاع التمدن ، من تلك الشيم التي تدرّع
الناس حيال الشرّ وإغراءات الشرّ . وكواعية ذاتها
ودورها في العالم ، لا تتصرف تلقائياً او اندفاعاً في
تيّار ، وانما عن فعل إرادة وعن ادراك بانها هي
المسؤولة ، في النهاية ، عن مستقبل الانسان في الارض
وربما في ما وراء الأرض .

قد يكون ثمة افراد مُتَحَلُّون بهذه الصفات .
ولكنّ عدم انتمائهم ، بمثل التّجنّد ، الى جسم النخبة

والى ما تنتدب نفسها اليه ، يمنهم صفتها ، اذ يُبقِيهم
اضعفَ جوهرأ وأقلَّ فعالية .

هل يعني هذا ان النخبة حزب ؟
كلاًّ وحاشى أن تكون النخبة حزبا .
الحزب ، تحديداً ، عملٌ سياسي . اذن يتطلّب
الحكم . والنخبة اكبرُ من تطلّب الحكم واكبر من
الحكم . تسلم زمام الحكم مشوب ، وإن قليلاً ،
بشهوة السلطة . والنخبة فوق الشهوة وفوق السلطة .
الحكم دولابٌ من دواليب تُشرف عليها النخبة ،
والنخبة الملتفتُ الذي اليه تتحرك الدواليب . الحكم
أسلوبٌ لتعهد الأمة او العالم ، في صعوده جهة
مصير عظيم . والنخبة هي هذا المصير العظيم .
هذا لا يعني أننا شخصياً من أعداء الاحزاب .

ولكننا نضع الامور في مواضعها . وبقيتنا ان اصطراع
الاحزاب هو ، في بعض المراحل ، خير طريقة لشفاء
قوى الشعب المصابة ريثما تضح فيها العافية .
الفرق كبير بين الحزب والنخبة .

قد يحارب الحزب ، بلا هوادة ، حزباً آخر ،
ليقوى ساعداً وينتصر ويتسلم الحكم ؛ وقد تشجع
النخبة جميع الاحزاب . الحزب ينفي سواه ؛ والنخبة
تُلهم سواها .

لَكُمْ علينا - والحالة هذه - أن نرحم حزباً
قوّاده لم يتخلّوا عمّا في قرارة نفوسهم من مناقب
النخبة ؟ استنكفوا عن الطعن على خصمهم ، اكتفوا
بمهاجمة الشرّ فيه ، وعفّوا عن شخصه . والجاهير
- زبائن الاحزاب الوحداء - لا تدكّ لك الا خصماً

رحتَ تجسّم فيه الشرّ . فإن كنتَ عادلاً واعترفتَ
بناحية خير في خصمك ، من اجلها ترفّعتَ عن مهاجمة
شخصه ، بقي هذا الخصم في الساحة وما تسلمتَ
الحكم . وهكذا تكون ، كحزب ، خنتَ طريقة
الوصول ؛ ولكنك ، كنخبة ، وفيتَ للعدل . وكراسم
خطط عليه ، أحياناً ، أن يعملَ من اجل البلوغ ،
سقطتَ ضحية ما بك من تعقُّل نخبة عليها ، أبدأً ،
ان تُنصف .

ولقد أدرك الشاعر العربيّ — وغالباً ما يستبق
حدسُ الشعراء نواميسَ الفلاسفة — حدّة الصراع
بين المغامرة في التنفيذ والتروّي في معرفة الحق فقال :
ولا بُدّ لي من جهلةٍ لوصالها
فهل من صديقٍ أودعُ العقلَ عنده ؟

لأنَّ في بعض دول الشرق أحزاباً ليس الى جنبها
نخبة ، كانت مأساة فلسطين .

خذ الشعب اللبناني مثلاً — وهو الشعب الوحيد
الذي تهدف الصهيونية الى محوه من الوجود — من
يتولَّى فيه تحضير حرب الغد ضد الصهيونية ؟ حرب
الأمم أو الحياة ؟ أتتولاها الاحزاب ، وحدها ، بما
يشوب عمل الاحزاب — على إخلاصها مبدئياً — من
مداينة الجماهير ؟ اذن ستكون حرباً سطحية . سيدخل
في مركبها قليل من دك الصهيونية وكثير من جرّ
الأصوات الى الحزب . قليل من المنهج وكثير من
الغوغاة .

ويكون ؟

يكون أن تتجدّد الكارثة كل يوم !

لو أن النخبة وطيدة الوجود في لبنان ، إذن
لراح لبنان ، منذ اربعين سنة ، يُعدّ لمواجهة الخطر .
ذلك ان الصهيونية ، منذ أن تأسست ، انطوت طبيعيا
محو على لبنان .

لماذا ؟ اليك ببعض الحقائق

ان الرقعة الممتدة من العراق الى ليبيا ومن
الأيض المتوسط الى المحيط الهندي ، إما صفر من
المياه واما ذات مياه اجنبية المنبع — إلا لبنان .
إنها جميعا — بما فيها فلسطين الاسرائيلية اليوم —
واقعة من الكرة تحت الدرجة الخامسة والثلاثين من
خطوط العرض . وهي ، في هذا العصر — بعد تقلص

الجليد قليلا الى الشمال ، ايُّ بعد تراجع البرد — الدرجة
التي تحتها لا مدنية . وما غير لبنان يُمكنه أن يستعيض
عن بعده عن القطب بارتفاعه عن سطح البحر .

لا ينابيع قوميّة الا في لبنان ، ولا مناخ موأم
للمدن الا في لبنان : إسرائيل ، اذن ، بحاجة الى
جبلين : جبل صهيون تستلهمه المغنويات وجبل لبنان
تستمدُّ منه الحياة .

حقيقة لا نفقها هنا كفاية ، ولكنها في إسرائيل
ألفباء الاقتصاد .

ويعرف العلمُ الاسرائيليُّ عن لبنان أكثر : يعرف
أن سماءه تُمطر سبعين بالمئة من مجموع امطار البلدان
العربية . وإلى ان يتحكّم العلمُ بالمطر سيظلُّ لبنان وحده
البلد الذي لا صحراء في أرضه ولا صحراء في سماءه .

وتلك ، عند لبنان وعند العرب ، معلوماتُ حاليين .
ولكنها في اسرائيل ارقام مهندسين . ارقامٌ تُترجم
الى شلالات وكهرباء . فاذا في مقدور مياه لبنان ،
حسب تصميم نقاش - جميل ، ان تمد كل فرد بخمسة
آلاف كيلواط ساعة في السنة . كميةٌ تزيد الف كيلواط
عما للفرد في أسوج ، اغنى مواطني العالم بالكهرباء .
ولما كان تمدن الامم يُقاس بما تملك من طاقة ، ينتج
ان نهم اسرائيل - شعب المهندسين والخبراء - الى
العشرة آلاف كيلو متر التي تدعى لبنان انما هو نهم
لا يجد .

لو ان في لبنان نخبة موطدة الاركان ، لأقامت على
طرقنا بارومتراً يُسجل ، كل يوم ، ساعة فساعة ،
درجة ارتفاع العدد من سكان اسرائيل .

الى سنواتٍ ، كانوا مئة الف — عُشر لبنان
يومئذ — مُبَعِدَ الحَرْبِ ، أَصْبَحُوا فوق المليون ؛ ها
هم ، اليوم ، نَحْوُ من ضعفي سكان لبنان !!
واذا استمروا على هذا التزايد انفجرت بهم
الحدود . عندئذ ستهزأ ارقام الديموغرافية بقصاصات
الضمانات الدولية . ولات ساعة مندم . وعندئذ قد يَفْقَهُ
اللبنانيون مغزى آية من سفر زكريا يتغنون بها في
اسرائيل : « افتح ابوابك يا لبنان وتلتهم النار أَرْزُك »
بلى ، في ذلك اليوم قد لا يبقى امامنا ، نحن ، في
هذه الرقعة من الارض التي عَبدْنَا ، بعد الله ، إلا
أَنْ نَعْمَلَ — يَأْسِين ! — ما عَمَلَهُ ابْنَاؤُنَا في
قرطاجه :

« راح الغضب ، يقول ب . غانيول ، يمدُّهم

بمسالة فوق الوصف . كانوا لا يزالون سبعة الف
في المدينة . افقلوا الابواب ، ذبّحوا انصار الرومان
ذبح النعاج ، حوّلوا المعابد الى مصانع للذخيرة ،
وليل نهار شرعوا يصنعون السلاح والعقاد . قدّمت
النسوة شعورهن حبلاً ، هدموا المساكن لصنع
أسطول جديد ، سلّحوا العبيد .

« وعندما اقترب القنصلان مع جيشهما من قرطاجة ،
هُزما شرّاً هزيمة ، على دفعات ثلاث . وهكذا حلّ
الشتاء ، مرتين ، وقرطاجة صامدة .

« وخافت رومة العاقبة ، فارسلت حفيد شبيون
قاهر هنيئيل . حاصر شبيون امليان المدينة . لكن
قرطاجة استمرت تحيا ، بواسطة المرفأ الذي لم يكن
قد تجرأ اسطول على سدّه .

« حتى اذا جاذف شبيون امليان وبني سدوداً فيه ،
وسط أعمال افتتت ، فيها البطولات القرطاجية ، وحتى
اذا تهدم المرفأ ، ارتجلت قرطاجة نفقاً في الصخر
وأطلعت منه ، كما بقوة السحر ، أسطولاً جديداً ،
صنع في أيام وكاد يُجهز على اسطول الرومان .

« وعمل الجوع عمله الفاتك في المدينة . فاضطّر
القرطاجيون الى أكل احذيتهم مغلّية ، ولم يستسلموا .
دُمّر آخر جيش من جيوشهم ، هو جيش اسدروبال ،
ولم تنزعزع لهم معنويات . وفغر شبيون سوراً من
الأسوار ، ولكنه اضطرّ الى احتلال المسكن تلو
المسكن ، بل الطابق تلو الطابق ، وقل : القلعة
تلو القلعة .

« كانت النسوة يقاتلن بالسيوف ، بالنبال ،

بأدوات المنزل ، بالماء الحار ، بتدمير البيوت على
المحتلين وعلى أنفسهم . »

اما النهاية فتكاد تُعَدُّ في الاساطير ! لو لم يكن
راويها وشاهدها ، بأَمِّ عينه ، المؤرخُ اليونانيُّ بوليب
مرافقُ الحملة الرومانية وعدُوُّ قرطاجة .

إنهم تسعمئة بطل ، هم آخر من بقي حول
مليكتهم في القلعة ، يابون الاستسلام ! فيضرمون نارهم
التقليدية ويقذفون بانفسهم ، الواحد تلو الآخر في شبه
حفلة دينية حتى اذا كادوا ينتهون ، تقدمت الملكة ،
وقد ارتدت افخر أثوابها والحلي (وكانت قد لفظت
خطبة حُفظت لنا بالحرف) ورمت بولديها الى النار ،
ثم لحقت بهما ، وبقرطاجة العظيمة !!

بلى ، في ذلك اليوم ، قد لا يبقى لنا سوى

ما عمله اجدادنا في صيدون ، عام ٣٥٠ ، يوم واجههم
أكزرسيس الثالث بمئات الالوف ، فأحرقوا مدينتهم ،
بقصورها والمساكن ، بشيوخها والنساء والاطفال ،
لكي لا يبقى لهم - وهم يقاتلون - ما يلفتهم
الى الورا .

وجيوشنا ؟ تقولون .

الجيوش ؟ إنها ما وراء الجيوش .

قيمتها بنسبة ما تقدر ان تخرج من بلادها .

إبعث جيش فرنسة بكامله ، الى القتال خارج
فرنسة ، تطلُ النخبةُ في فرنسة دعامة أمنٍ وَوَحدة .
أما في الشرق ...

ان جيوشنا نحن يحمي لبنان من لبنان ، وجيش
الرافدين يحمي العراق من العراق ، وجيش النيل

يحمي مصر من مصر .

يوم كان الجندي اللبناني يستبسل في المالكية ،
كان مجتمعه خلفه يرقص على انعام الجاز ؛ ويوم كان
زميله المصري يموت بطلاً في الفالوجة ، كان ملكه
وراءه يعقد صفقة تجارية .

توقفنا عند الصهيونية — وهي منذ انفجرت
على تخومنا ، باتت تشكل ، كل يوم ، تحدياً لوجودنا
من اساسه — لندل ، بحقيقة ماثلة كالخنجر ، على
ان المجتمع الشرقي هو مفتقر الى خطط نخبية . نخبة
تعمل بمستوى المصائر الكبرى ، والا انهيار عند أول
صدمة بحجم الصهيونية .

إنَّ المجتمع ، كمجتمع ، واحدٌ تقريباً . واحدٌ في

العالم كله . إن في انكثرا لصوصاً ، كما في لبنان ،
كما في ساطنة لحج ؛ وكذلك منافقين ومتاجرين
بالافيون وبالرقيق الايض . اما ما يجعل المجتمعات
تتباين ، بعض الى أوج وبعض الى حضيض ، فهو ما
يقوم فيها من نخبة ، حولها تستقطب او تتراخى القوى .
فلا يُعَدُّ المجتمع اللبناني متأخراً لجرّد ان يقوم فيه
متاجرون بالحشيش ، يساهمون في تدمير مصر ، بل
يُعَدُّ متأخراً ان كان لا يطلع نخبة نافذة الكلمة ،
تغضب للعمل الاثيم وتمنع حصوله . ويُعَدُّ متأخراً
أكثر إن بقي تُجَّار الحشيش ، من آن الى آن ،
يُصدّرون الى الحكم نماذج منهم .

لا ، ليس من الضروري ان تتسلم النخبة
باشخاصها الحكم . ولكن من المحي أن يتشرّف

الحكم بالجلوس الى مائدة النخبة .

فعلى تلك المائدة ، وحدها ، يُنقذ الحكم نفسه
من نفسه ، يُنقيّ جَوّه من صغارة الزبّان ، يرتفع الى
المناخات العُلى ، يمدُّ ذَاتَه بِبُئِلِ الْعِلْمِ وبالفكر الكبيرة ،
يعود غير متخوّف من الاقدام على الجلل وعلى تخطيط
التاريخ . والاقدام على الجلل وحده يخرس التذمّر ،
لانه يَحْتِثُ اسباب التذمّر ؛ وتخطيطُ التاريخ وحده
يهوّس وَيَغْمُرُ بالفرح ، لانه يرفع الأعين اللصيقة
بالتراب الى ملاعب الشمس .

يمكن لَمْ جميع ما قلناه بنقطتين :

الاولى : ان لا خلاص لنا من الاخطار التي بوزن
اسرائيل الا بالنخبة .

الثانية : ان لا نخبة وطيدة الاركان في الشرق .

كيف تتكون النخبة ؟

كشكل جسم حي ، تتبَّع النخبة سننَ النشوء .
فهي ، اولَ ما تبدو ، خلايا قليلة في فراغ المجتمع .
أرخبيلات في خضم . يؤلَّف الخلية الواحدة اثنان على
الاقل من علية المثقفين ذوي الخلق ، لا بما ان
واحدهما عالي الثقافة ذو خلق ، بل بما انه ، على
الاخص ، أبعد شيء عن الاثرة والانكفاء على الذات ،
أميلُ الى التعارف والمشاركة في النشاط العام ، يزيد
بهما نضجه ويُجرىء بادرته على الصعب . اكتشاف
الافراد بعضهم بعضاً ، والتلاقحُ الفكريُّ والمُخلقي فيما
بينهم أساسيان . وتنمو الخلايا وتتكاثر حتى لتقلَّ
المسافات المباعدة بينها وتتنظَّم في الخلية الكبرى :

النخبة . يتم عمل التلاقي هذا لا بمحض وعي ولا
بمحض عفوية . فما هو احتشاد مُحزوزين ولا تزاور
ثرائين . إنَّ هو إلا بعضٌ من نزوع الى لقاء خَيْرِ فيه
تكشيفٌ للذات وفرحٌ خلاق . ان الخلق بهذا التلاقي
يَمُرُّ بمرحلة من وعي ذاته واستجابة نداء داخلي يشده
الى السوى ، ثم تماسٌ بالسوى لا يكاد يحصل حتى
يشعر بتبدل اشبه ما يكون بولادة له جديدة .
وتكون صداقةٌ أحلى الى قلبه واسبع على عمله من
الحبِّ العظيم . تنطوي على غبطة الحب وتترفع عن
غيرته الآكلة وأنواء بحره المتقلب .

إنَّ الشعر لم يغنِّ الصداقة كفافاً .

بهذا اقترب إنما وخسر وترأ لا أعمق ولا أبهى .
وإنَّ الصداقةُ إلا العاطفةُ الأوفر إلهاماً للمتجبن .

إِنْ أُنِمَّتْ وَصُغِّهَا بَيْنَ مُخْتَلَفِ أَفْرَادِ النُّجْبَةِ ، مَدَّتْهُمْ
بِحَيَوِيَّةٍ يَرُوحُ صَدَاها يَرْجُ إِلَى أَمَدٍ غَيْرِ قَصِيرٍ . تَشْهَدُ جَدْوَى
عَرَى شَدَّتْ بِرِيكَلِيسَ إِلَى نُجْبَةٍ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالنَّحَاتِينَ ،
فَكَانَ مِنْ نَتِيجَتِهَا بَقَاءُ رَقْعَةٍ مِنْ أَرْبَعَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ مِنَ
الْأَرْضِ عَاصِمَةِ إِيْلَهَامٍ إِلَى الْأَبَدِ . وَتَشْهَدُ طَبِيبَةُ الْفَتَى
بَيْنَ قَلْبِي غُوتِهِ وَشَرَفَكَانَ مِنْهَا قَلَمَانِ قَلَمًا أَطْلَعَ الْأَدَبُ
أَطْرَفَ مِنْهُمَا وَأَعْمَقَ ، أَوْ أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ .

وَعِيُّ الذَّاتِ وَاسْتِجَابَةُ النَّدَاءِ الدَّاخِلِيِّ هُمَا مِنْ عَمْرِ
النُّجْبَةِ عَهْدُ الْيَفَاعِ . وَالصَّدَاقَةُ عَهْدُ الشَّبَابِ ، بِمَا فِيهِ
مِنْ طُمُوحٍ خَيْرٍ بَارِئٍ . وَفِي عَهْدِ الرَّجُولَةِ تَحْتَاجُ النُّجْبَةُ
إِلَى مَا يَتَعَهَّدُهَا بِاحْتِرَامٍ . إِبَانُ الشَّبَابِ هِيَ فِي غَنَى عَنْ
أَيِّ مَدَدٍ . إِنَّهَا لَتَكْفِي نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا . اَنْدَفَاعًا حَتَّى
الطَّرَبِ وَلَذَّةً حَتَّى الْخُلْدِ . أَمَّا فِي أَثْنَاءِ الرَّجُولَةِ فَوَيْلُ

لمؤسسات تَجَنَّب عن الحُدُب على النخبة وويلٌ لحكم
يَنفَرها . تلك تنطوي على نفسها فلا تلبث ان تبيس
حتَّى لتغدو مُتَحَفَ مومِيات ؛ وهذا ، وقد انقطع
عن التماس بمثلي انتصارات التمدن والملتفتات الى الغد
الافيح ، يصبح حُكْمًا شينًا والدنيا شباب بعند ،
فيتنكر له الناس بل يتنكر هو لنفسه ويضطر ،
إبقاء على حياته ، إلى وقف عمله على الاهتمام بنفسه .
حمار ناعورة هزل حتى لم يعد يطلع إلا ما ينقع عطشه .
عددٌ من حكومات الشرق وصل إلى هذه الحالة .
فاذا الدكتاتوريات ، على بشاعتها ، المنفذ الوحيد .
بدت مصر دون مستوى جيشها في يوم فلسطين ،
لأنها لم ترفع الى الحُكم والى بطانة العرش ، مدة
ربع قرن ، إلا محترفي السياسة . فبات آخر ملوكها ،

يوم يزور فرنسا ، واحة التمذّن ، تتناقل الدنيا
أخباره مقامراً ، ولا تنوّه مرة واحدة بأنه زار عالمًا .
وظهر ابنان صغيراً خلف جيشه لان حكومته بقيت ،
في نحو خمس عشرة سنة ، في شبه عداء مع مثقفيه .
فاذا يموت ابو الموسيقى فيه يموت عن راتب يكاد
لا يزيد عن راتب حاجب .

هذه الاستشهادات لم يُقصد بها الطعنُ على النُظم
في الشرق بقدر ما قصد بها التوكيد على تعيّب النخبة .
فالنخبة وحدها تستطيع ان تؤمّن لا تبادلَ الحرمة بين
افرادها وحسب ، بل تبادلها كذلك بينهم وبين سائر
مؤسسات المجتمع ، ومنها الحكم . وشعور النخبة
بحرمتها هو كلّ حيويتها ، جماع عنفوانها ، هو السياج
الذي يصون العالم من إغراء المال يُلوّح به أصحابُ

الاعمال الكبيرة، منزله من طلاقة البحث العلمي الى
محدودية العمل التكنولوجي . ذاك يُقدِّم له لذَّة
الكشف للكشف ورضى الله والضمير، وهذا يُغفره
بالرفاه والثروة، صَنَمَي العصر اللذين انتجما على البيوت
صدارتها وعلى القلوب حرارة خفقاتها . أولاً يخالج
العالم، بدايةً قنوط كلما رأى زوجة صاحب الحانوت
تقتني في دارتها أحدث الرياش وأدوات الرفاه وتودع
المصارف ثروة، بينما تخنق زوجها في صدرها شبه
غصة؟ لا، وَوَحْدَهُ شعور النخبة بانها النخبة وكفى
يصون العلم من الاستخدام في المصنع، والشعر من
التكسب، والفلسفة من كتابة المقالة اليومية، والبحث من
التعيش في بيت غني، والتدريس من الالتحاق بالوظيفة،
والقضاء من الانتساب الى مستشارية الشركات .

وبصدد هالة النخبة يمكن الالماع الى ما ينبغي أن
تخصّ به نفسها من ترفيه خليق بها . فالعمل العقلي
المرهق يلزمه استرخاء موأّم ، يعود العقل على اثره
الى مجهود جديد . فان لم تمنح النخبة نفسها هذه النزهة
الرحيمة ، ان لم تكن لها أنديتها المتنفسة بالرفعة ،
اضطر أفرادها الى انتجاع الراحة في ملاهي الطبقات
الأخر حيث الأثرُ مزدوج الاساءة : يُبدّد جوّ النبيل
ويزرع ثقة العلية بعليتها .

ولعل تاج اعمال النخبة ، لتتوطد ويبلغ عملها حد
العراقة ، أن تتنادى بين فترة واخرى الى التمرّس بعمل
ضخم ، يجيء في مستوى القضاء والقدر .

ان بعض انتدابات الى الجلل قامت بها النخبة ،
في بعض عهود التاريخ ، أوجد صيدون وآثينة وقرطاجة

ورومة وفلورنسة وباريس : الاولى فاتحة عالم ومصدرة
عقل وذوق ، حتى لتأخذ الدنيا عن نظامها الديمقراطي ،
ويقصدها فيشاغورس يُحَصِّل فيها ، وبنات الملوك والسراة
يروين فيها غلة الاناقة والجمال ؛ والثانية حاضرة فكر
وفنّ تلهمهما الناس إلى الأبد ، حتى لتتعبد الدنيا لبضعة
من الاصول هي المحارة التي ضمنها تضطرب آلة العقل ؛
والثالثة أكبر ورشة لصناعة البطولة ، بدأت بملكة
أحرقت نفسها ثباتاً على فكرة وانتهت بملكة أحرقت
نفسها ثباتاً على فكرة ، حتى لقد أسس الانسان بين
تينك البادرتين أطول الامبراطوريات عمراً : عمر عالماً
ناثراً نشاطه الخلاق على جميع البحار ، مُوجداً في الاقتصاد
عدالة لا يزالون حتى اليوم يتشوّفون الى مثلها ، تاركاً
في الشجاعة سجلاً لسلسلة من المعارك تتلمذ لها قيصر

ونابوليون وبقيت ، الى أمس ، آخر ما قيل في فن
ملاعبة الموت ؛ والرابعة أعمق مدرسة للعنف مع
الذات ، حتى لقد مدّها قهرُها لنفسها بما يلزمها من قوة
لقهر الدنيا ، فشددتها بقرنيها في حقبة من عمر الزمن ،
وربطتها الى عجلتها ، وما زال قانونها ، الى اليوم ،
اوثق ما يشد البشر الى الحق ؛ والخامسة أشرف حلفٍ
عُقد في التاريخ بين رجال مال ورجال فنّ ، حتى لقد
أطلع من التحف في التصوير والنحت والعمارة ما يُقدّر
بنصف ثروة الجمال في الأرض ، وحتى لتروح أمة
بأسرها تعيش على دخلها من حجب الناس له ، على أنّه تاج
قارة طمعت بان تكون ملكة القارات ؛ والسادسة حكم
ذوق وعقل في الألف سنة التي حولنا ، حتى لعلّ ما تنطق
به يحيا أو يموت نتاج العباقة ، وحتى لتشكّل دون

سواها من مُدُنِ الأَرْضِ الوطنَ الثاني لِكُلِّ رجلٍ فكر .
هذا ، والنخبة على الجملة مناخ .

فاذا لم يشعر المجتمع ، جميعاً ، من لاهوتيّهِ إلى
الجاهل ، من القصر إلى الحانة ، إذا لم يفرض وجودُها
هذا الشعور ، بأن هناك ، في قة هذا المجتمع ولكن على
مقربة من قلبه ، طبقةٌ تتنفس تنفساً بالشؤون العليا :
كثافة الوجود ، ترف الوجود ، سُمُو الوجود ، فقل
آنئذ : ان ذاك المجتمع شَبَحٌ أَوْ دُولٌ بوليسية تُحَكِّمُ
بالسوط ، رقعة أرض من فقر وبدادة في لباس متمدنين
معرّضة بين يوم وآخر للوقوع في أيدي شرذمة من
الظُمَامِ أو تَجَّارِ النفوذ أو ما هو أوجع : مستعمرو
الغرب .

ونابوليون وبقيت ، الى أمس ، آخر ما قيل في فن
ملاعبة الموت ؛ والرابعة أعمق مدرسة للعنف مع
الذات ، حتى لقد مدّها قهرُها لنفسها بما يلزمها من قوة
لقهر الدنيا ، فشدّتها بقرنيها في حقبة من عمر الزمن ،
وربطتها الى عجلتها ، وما زال قانونها ، الى اليوم ،
اوثق ما يشد البشر الى الحق ؛ والخامسة أشرف حلفٍ
عقد في التاريخ بين رجال مال ورجال فنّ ، حتى لقد
أطلع من التحف في التصوير والنحت والعمارة ما يُقدّر
بنصف ثروة الجمال في الأرض ، وحتى لتروح أمة
بأسرها تعيش على دخلها من حجّ الناس له ، على أنّه تاج
قارة طمعت بان تكون ملكة القارات ؛ والسادسة حكم
ذوق وعقل في الألف سنة التي حولنا ، حتى لعلّ ما تنطق
به يحيا أو يموت نتاج العباقرة ، وحتى لتشكّل دون

سواها من مُدُنِ الأَرْضِ الوطنَ الثاني لِكُلِّ رجلٍ فكر .
هذا ، والنخبة على الجملة مناخ .

فاذا لم يشعر المجتمع ، جميعاً ، من لاهوتيّهِ إلى
الجاهل ، من القصر إلى الحانة ، إذا لم يفرض وجودُها
هذا الشعور ، بأن هناك ، في قمة هذا المجتمع ولكن على
مقربة من قلبه ، طبقةٌ تتنفس تنفساً بالشؤون العليا :
كشافة الوجود ، ترف الوجود ، بُمُؤ الوجود ، فقل
آنئذ : ان ذاك المجتمع شَبَحَ أو دُولٌ بوليسية تُحَكِّمُ
بالسوط ، رقعة أرض من فقر وبدَاوة في لباس متمدين
معرّضة بين يوم وآخر للوقوع في أيدي شرذمة من
الظُمَامِ أو تَجَّارِ النفوذ أو ما هو أَوْجَع : مستعمرو
الغرب .

بعد هذه المحاولات المقتضبة في فقه النخبة وسنن
تكونها ، نورد طائفة من معضلات الشرق المعاصر
التي ستحدى أكيداً نخبة الغد :

أولاً : معضلة تكوين النخبة لنفسها .

انها باب الأبواب . أول ما يتوجب عليها عمله هو
من النخبة كالمهيج من الفلسفة . فان لم يتوصل أفراد غير
عادين الى الانتظام في شبه حركة تتعهد الشؤون العليا ،
فعبثاً تتكلم عن نخبة وعن معضلات عظمى ستصدي لها .

ثانياً : معضلة إعادة الثقة بالعقل البشري .

إن الشرق المعاصر هو ، من جهة ، غير جاهل ،
ومن جهة أخرى ، غير كافٍ علمه . وهذا القدر من
النور بين يديه يوقفه ، كل يوم ، على تناقض ظاهري
في عمل نظم الفكر والمجتمع وتدبّر مستقبل الأرض ،

فيخلص إلى ان البشرية ، بعد ثلاثة آلاف سنة من
إعمال العقل ، لم تتوصل إلى حل مسائلها . وإنما تُعَقِّدُها
زيادة ، كل ربع قرن ، بمجزرة عالمية . ومن هنا أزمة
الشرق المعاصر مع العقل : شَكُّه بالعقل وبقدرة العقل
على تَعَهْدِ المصير البشري . أزمَة ، ان استمرَّت في
الضمير الحديث ، اعاقَت دخول التمدن إلى الشرق .
لأننا ما لم نَسْتَعِدِ الثقة بالعقل ، آلة الحقيقة وتقبُّل
الوحي ، فسنظل مضربين عن استعمالها على الوجه
الاكمل ، مكتفين في مواجهة مصاعبنا باللجوء إلى
« رويشتات » من الخبرة البراغمية تفضي بالفرد حتماً
إلى تطبيق شريعة الشُّكَّاء : « إن لم تكن ذنباً . . »
ثالثاً : معضلة استعادة الكرامة البشرية .

إن قَلَّةَ التعمق بالفكر ، عند طبقة المثقفين

العاديين، أوقفهم من المعرفة عند استنتاجات قشورية
من علم الاثربولوجية . فراحوا يرددون ان الانسان
حيوان او ضريب حيوان . والهالة التي حوله انما
اصطنعتها المعتقدات وان أي فرد مثل أي فرد .
وهكذا باتوا في موقف من يحذف كل ما بناه
الانسان ، في الثلاثة آلاف سنة الاخيرة ، في باب تحقيق
ذاته . موقفٌ بسببه قد يلتقون على صعيد واحد ورجل
العصابة الذي يقيس الانسان بقدرته على تشغيل
المسدس . ومن هنا موجة اللامبالاة التي تغمر مجتمعنا ،
من الاساس الى القمة ، فتجعله يَقْتُلُ في عدم تحرُّج ،
يدهس معنويات باتهام جزاف ، يُحْطَمُ مستقبلاً بحكم
يصدره بخفة ، يُرْغَمُ نابعةً على الاستقالة لمجرد احتياجه
الى منصبه ، يُدمّر شهرة للذة إعمال الحسد الكامن

فيه . أعراضٌ كلها أعراض لتقلص كرامة الانسان في
المجتمع الشرقي ، أيّاً كانت الدرجات : من الحاكم الى
القاضي إلى المتشرد .

رابعاً : معضلة التوفيق بين ضرورة الاكل من خبز
الهيكل وواجب الحفاظ على خبز الهيكل .

معضلة ترقى في الشرق الى عهد داود . خلاصتها
أنَّ الحاكمَ او أيَّ متسلمٍ عملٍ عام مفروض فيه ، من
جهة ، ان يعيش من مال المنصب ، ومن جهة اخرى ،
ان يتعهد الانفاق على التزامات ذلك المنصب باشدَّ
وفر ممكن . فكيف لا يقع في تجربة من اتخذ
القرارات التي تؤمُّ — عن بعد او قرب — مصالحه
الخاصة ؟ نصفُ الشلل في الآلة الحاكمة عندنا ناجمٌ
عن هذه المعضلة . فبأيَّ دُرِّبة عبقرية ستوصل النخبة

غداً الى تربية طبقة من الحكام ورجال المناصب
والاعمال ، تمدُّ بهم الدولة ومختلف مؤسسات المجتمع ،
ويكونون بشراً فوق البشر ، حتى إذا اصطدمت
الخدمة والجيب آثروا مجدَّ الخدمة على ورم الجيب ؟
ولهذه المعضلة أثرها المباشر في جدوى حربنا
العتيدة مع الصهيونية . فإلى اي حدٍّ سيكون ساستنا
غداً — والمفروض انهم يُعدّون لحرب الخلاص —
مُدْرَعين ضد المال ؟ أمن المستبعد ان تُنزل اسرائيلُ
الى الساحة جيشاً من الدولارات ؟ لكم ينبغي أن
يكون داودنا مَتِينَ الخُلُق ، لكي يفضل الجوع ،
يومئذ ، على أكل خبز الهيكل ؟

خامساً : معضلة النزاع بين الله وقصر

معضلة ذرَّ قرنُها في لبنان منذ تقدمت تقابله

المحامين بمشروع قانون لشؤون يعتبرها رجال الدين
من ضمن سلطاتهم ، ويعدها التشريع الحديث جزءاً من
شموله . اية روح عبقرية يجب ان تُلهم النخبة غداً
لُتطلع بين ممثلي الله بولساً جديداً يعرف « ان الحرف
يقتل » وبين ممثلي قيصر من يقترح قانوناً مطلق
الجرأة — لا مُتَمَلِّمَهاً وحسب — حتى تكون هذه
الجرأة على الجميع وسيلة الصمود والاقناع والظفر ؟

سادساً : معضلة التوفيق بين المواطنين الهادرتين في ضمير
الانسان الحديث: مواطنة الأمة ومواطنة العالم .

إذن لا تبقى الاولى أثراً وتطلب عيش عن
طريق غزو الغير ، وبالتالي اعتبار البغضاء اساس بقاء ، ولا
تستمر الثانية تهرباً من التزامات الانسان نحو الأقربين
وذوبانا في كلامية تُدمر الثقة بما يرسم على الافق

من وحدة العالم .

ولهذا النضال شكلٌ آخر حاد في الضمير الشرقي ،
عند جماعة المواطنين الأولى . فهم يتخذون أشبار
الأرض أساساً لقياس وطنهم ، فتطالب فئة منهم بتكبير
من هذا النوع وتردُّ فئة أخرى بتكبير يطغى على
تكبيرهم ، حتى لتستمران تضيّعان على الشرق فرصة
الجهز عالياً بأن نصف مشاكلة ناجم عن كونه اهتم ،
منذ فجر النهضة السياسية ، للضمِّ أكثر منه للتكثيف ،
لتوحيد الأقاليم أكثر منه للتمدين . فقاته الاثنان

سابعاً : معضلة إحلال العلم محل الحق العام

باستثناء القلائل من عُشراء نظريات ريمن واينشتين
والمقارنات بين نواميس الكون الصغير والكون
الكبير ، نجد سواد المثقفين في الشرق ما زالوا يركزون

مَحَكَّ الْعِلْمَ عَلَى الْحَسِّ الْعَامِ — مَنْطِقَ جَمِيعِ النَّاسِ ، عِدَا
الْقَادَةِ الْخَلَاقِينَ — غَيْرِ مُدْرِكِينَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ ، عَقِبَ
انْتِصَارَاتِ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ ، أَنَّ الْحَسَّ الْعَامَ اكْبَرُ أَعْدَاءِ
الْعِلْمِ ، وَأَنَّ تَقَدُّمَ الْحُسَيْنِ السَّنَةِ الْآخِرَةِ لَمْ يَتِمَّ لَوْلَا
تَجَرُّؤُ الْعِبَاقَةِ عَلَى ذَاكَ الصَّنَمِ ، فِي دُرْبَةٍ جَدِيدَةٍ هِيَ
أَجْمَلُ مَا خَضَّ حَلَقَاتِ الْمَنَهِجِ مِنْذُ نِيُوتِنِ ، وَأَنَّ مِنْ
الْقَوَاعِدِ الْحَدِيثَةِ أَنَّ يَشْكُ الْعَالَمُ — بَرُغْمٍ مِنْ دِيكَارْتِ ،
وَلَعَلَّهَا تَتِمُّ لِرُوحِ دِيكَارْتِ — بِكُلِّ حَقِيقَةٍ تَبْدُو بِدِيَهِيَّةٍ
أَوْ تَنْطَبِقُ عَلَى مَنْطِقِ الْعَامَةِ . لَا عَلَى أَنَّهَا دَائِمًا خَطَأٌ ، بَلْ
عَلَى أَنَّهَا غَالِبًا خَطَأٌ . مَهْمَّةٌ بَيْنَ أَدَقِّ وَأَجْرَأِ مَا اسْتَضْطَلَعَ
بِهِ النُّخْبَةُ ، وَإِلَّا بَقِيَتِ الشُّكَّةُ وَسِيعَةً فِي الشَّرْقِ لَا بَيْنَ
الْجَاهِلِ وَالْعَالِمِ وَحَسَبِ ، بَلْ بَيْنَ الْمُتَّقِفِ وَالْعَالِمِ
كَذَلِكَ .

ثامناً : معضلتا الأخذ بلغة الحياة واعتماد تدوين علمي .

إنهما بين اوجع ما سيحزّ في قلب النخبة ، اذ محض
اثارة الموضوع معضلة . بالنظر لما فيه من ملاسبات
مع العاطفة والولاء القومي . ومع هذا فلا بد من
العمل . وإلا خانت النخبة شرقها العظيم في تغيّبها عن
فرض الحلول التي سبقتنا اليها اوروبة .

ان قضيتي اللغة والحرف منفصلٌ إحداهما عن
الأخرى . وكلُّ من حلّيهما يُغضب العاطفيين . فهو
كالعملية الجراحية لا يشفي الا اذا أدمى .

معضلة اللغة عرضت وستعرض لجميع الشعوب
المتمدنة ، لأنّ اللغة ، بطبيعتها ، تخلق لنفسها هذه
المعضلة كل نحو من الف عام . اما مبدأ الحل فقد
استُخرج من الحياة : اللغة هي ما في الفم لا ما في الكتاب .

ولو ان رقعة العالم الغربي ، على سعتها ، من اسكوتلاندة
إلى صقلية ، مضافاً إليها رومانية ، بقيت مسائرة عاطفية
الشعب وما تتوهمه من وحدة لغوية تربط بين
أجزائه ، لما كانت إيطالية وفرنسية وانكلترة والمانية
اليوم زعيمات العقل الغربي ، ولما أطلعن عباقرة الشعر
والفلسفة .

أما معضلة التدوين فقد عرضت وستعرض لجميع
الشعوب التي لا حروف محرّكة في نظامها التدويني .
كالشعوب السامية جميعاً . وما حلّ مصطفى كمال بالحل
الناجح ، لمجرد انه لايتني ، ولكنه أحد الحلول الموقفة
لان الحرف الذي انتقاه ينطوي ، خاصة ، على الحروف
المحرّكة . وإن لم يلجأ الشرق إلى أبجدية مماثلة بقيت
الامية آفة جاهيره إلى الأبد . إذ الطريقة التي ندون

بها لغتنا مبدأها « تثقف فتقرأ » لا « اقرأ فتثقف » .
معضلتان على حلِّهما في الشرق يتوقف إيجاد
المؤسسة التي هي حَقَّ جميع المؤسسات . وما بقي الحقُّ
خَرَباً فمباشرة تفكّر باقتناء العطور .

لا نهضة لنا وللعرب ما لم نحلَّ معضلي اللغة والتدوين .
بين العلم والعاطفة ستنشب حرب . وستكون
مستعرة . وما كان منها ليس شيئاً بالنسبة الى ما
سيكون . كل ما عندي ان اقف شجاعاً في جانب
الحقيقة . ليس الشرق عظيماً لانه الشرق ، انه عظيم
بقدر ما سيكون ابن الحقيقة .

تاسعاً : معضلة تعهد المعرفة الشعبية .

ان إيجاد التفاهم الدائم بين العامة والخاصة لا يتم
بحال من الاحوال بانزال هذه الى مستوى تلك ، بل

برفع تلك الى مستوى هذه . ان الدلعة الديمقراطية
في العصر عودت العامة شيئاً خطراً . خطراً حتى
عليها . هو أن تسايروهم الخاصة وتجاري ما يظنون انه
مصلحتهم وأمانهم . ان العامة لا تعرف خلاصها ، الا
اذا أقيمت على اتصال دائم بخلصة اكتشافات الخاصة .
لا ما يطبقه الصناعيون تكنولوجياً من اكتشافات
الخاصة ، بل ما تبثه الخاصة نفسها في دوائرها العليا من
نواميس . نعم ليس بإمكان العامة ان تفقه النواميس .
ولكن بإمكانها ان تطلع على روح النواميس . بإمكانها
ان تدرك اتجاهها ، بإمكانها ان تعيش في مناخها الرفيع .
ولو عجزت النخبة غداً عن تقليل سعة الهوة بين
الخاصة والعامة ، لجاءت النتيجة رابعة : استمر الحكم
في تدهور ، لأن الحكم بطبيعته متأثرٌ بالعامة ، ان لم

ثقل منبثق عنها ؛ وأجبر ، عندما يستيقظ الى الدرك
الذي يكون قد سقط فيه ، على التبدل حُكمًا فرديًا ؛
واصبح الجفاء بين العلماء والشعب طلاقا ؛ وتوقف النتاج
العامي ، لان النتاج العامي منوط لا بفهم العامة له
بل بحنو العامة عليه ؛ واضطرَّ رجالُ المعرفة إلى العمل
من ضمن مصلحة واحدة : مصلحة المأكل والملبس
والمسكن ، كأنما مشكلة المأكل والملبس والمسكن ،
هي نفسها ، تُحَلُّ بمحض معطياتها لا من ضمن
البحوث العلمية العليا .

عاشرا : معضلة القدرة على الطموح

إن الشرق المعاصر مزيجٌ من مقومات أربع :
ماضٍ جَلَل ، ورقعة أرض معظمها صحراء ، وطول عهد
بالتغيب عن التمدن والتمدين ، وانصعاقٍ بغرب بلغ

من القوة ، معنىً ومادةً ، حدّاً يجعل الفارق كبيراً
بينه وبين سواه .

فإذا استثنينا النقطة الأولى وجدنا ان كل شيء في
مقوماتنا يثبّت الغزائم .

ولقد عقد هذه الحالة وزاد المصير ادلهما أن
تخلصنا من الاستعمار استند ، إلى حدّ بعيد ، على
الكزيفوية ، أكثر منه على وعي ضرورة الحرية .
فإذا ابطال الاستقلالات عندنا — باستثناء النادر منهم —
كارهو غرب لا طالبو حق . وإذا أمكن بعض
بلداننا ان يتحرر من الاستعمار ، لم يعدّها « الأبطال »
مرحلة صغيرة من مراحل الماضي قُدماً في أنسنة الإنسان
المشرقي ، بل زادهم النصر الذي تحقّق ثقةً بقيمة الكره
للغرب — كأنما الكره يصلح ان يكون مذهباً سياسياً —

فتناها في تغذيتها ، مهولين - دعماً لأرائهم - بخطر
عودة الاستعمار بألف شكل غير الشكل المسلح .
ولتصرفهم هذا سببان :

الأول : ان عشق الحرية عندهم لم يكن نتيجة
درجة من الوعي متقدمة تجعلك تدرك ان الحرية
والوجود البشري صنوان .

الثاني ان الكره عاطفة ديمقراطية - إذا جاز
التعبير - يمكن بشأها على أهون سبيل في مجموعة الشعب ،
وبالتالي تحريكها ساعة تستدعي ذلك شهوة الحكم عند
عباد الحكم ؛ بينما الحب والبناء عاطفتان صعبتان ،
لا تنميان إلا في نفوس النخبة ، تلك المتينة الخلق ،
القادرة على الترفع ، العارفة ان لا دخول إلا « من
الباب الضيق » . وهذه بطبيعتها قلة . ولأنها قلة ،

ولأنه يستحيل « استزلامها » ، يؤثر عبّادُ الحكم عدم
التعاون معها .

وهكذا أبقى محترفو السياسة على شبح الاستعمار ،
بعد ذهاب الاستعمار ، وسيلة سهلة تضمن بقاءهم هم .
واستمر شرقنا ، في اجزائه المتحرّرة ، يجترُّ
وضعاً كان قد انقضى . وبدلَ ان ننتقل إلى مناخ
البناء بقينا في روحية الخوف .

هذه الحالة مضافة إلى ذلك المزيج الفقري
الذي يكوّن مقومات الشرق الأربع ، بعثت في سواد
الشرقيين ما هو أفثك من الجُهود بعثت فيهم المحدوديّة .
فالجُود ، متى يستيقظ إلى هوله الواعون ، يصبح ،
بين ليلة و آخر ، عامل ثورة . أمّا المحدوديّة فذكاء
رخيص يجعلك تتطلّب ولكن تطلب المتذمّر ، يريد

العيش لا مجد العيش . فيفوته حتى العيش .
لعلَّ أفتك ما يضعف الشرق اليوم إدعاء جناء
المأمل بانهم هم الواقعيون ، وتعريضهم بذوي الطموح
الضخم .

لكم نحن في حاجة إلى من يحملون الحلم
الكبير !

آفة الشرق اليوم أنه قليل الطموح .
ومن هنا انه يسهل مجيء الخاملين الى الحكم .
فهم خير من يمثل تدمره ومسكته وحوادثه الصغيرة .
خاملٌ يحكم خاملاً .

لن يوفر للشرق حتى أقلَّ متطلباته إلا من
سينتدبه إلى المتطلبات الكبيرة .

سيكون الشعار : ليتقدم الصفوف من يقدر على

الطموح .

يتحدّى النخبة غداً معضلةً تحطيم الاصنام لتحلّ
محلها الآلهة .

حادي عشر : معضلة العودة الى الله والى عدم عدمية الانسان .

مُهَمَّةٌ أَشْرَفُ ما سيواجه النخبة على الاطلاق
ففي جزئها الاول ، إعادة النظر في جميع ما كتب
وُبني ونُحت وصُوّر وأنشد وغُنّي وُبُحث وحُلِّل
واكتُشف ورُكع وصُلّي وعُبد على اسم الله . وفي
جزئها الثاني ، مواجهةً جديدةً عصريةً لأفلق سؤال
يطرحه الانسان : أنا محدود البقاء ام انا باقٍ الى
الابد ؟ اصحيح اني ، انا الذي أنرت جانبا كبيرا من
ظلمات الوجود ، بعقلي الكاشف المبدع ، أنا الذي
أطلعت روائع الفكر والموسيقى والعمارة ، انا الذي

نَظَّمَتْ آلَةَ الْعَقْلِ الْعَجِيْبَةِ حَتَّى لَقَدْ بَاتَتْ تُقَدِّمُ لِي مَا
لَمْ تَكُنْ هِيَ نَفْسَهَا تَحْلُمُ بِهِ ، أَنَا الَّذِي جَسَسْتُ انْظُمَةَ
الْكَوَاكِبِ ، رَزَتْهَا ، دَخَلْتُ إِلَى قَلْعِ الذَّرَّاتِ ، صَافَحْتُ
سَكَّانَهَا ، خَرَبْتُهَا ، أَعَدْتُ تَكْوِينَهَا مِنْ جَدِيدٍ ، أَنَا ،
أَنَا نَفْسِي ، سَيَفْرَغُ مِنِّي هَذَا الْكَوْنُ ، وَهُوَ أَنَا بَاتَ
نِصْفُهُ مِنْ صَنْعِ يَدَيَّ ؟ أَصَحِّحُ أَنَّهُ بِوَحْدَاتٍ مِنْ
الْسِّنِينَ (سِتِينَ ، سَبْعِينَ ، مِئَةٍ عَلَى الْآكْثَرِ) يُقَاسُ
عُمْرِي ، أَمَّا عُمرُ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْمِيْتَةِ الْحَقِيرَةِ فَيُقَاسُ
بِالْمِلايين ؟ مَا قِيَمَةُ الْأَرْضِ ، هَذَا الْكَوْكَبِ الصَّغِيرِ ،
الَّذِي تَسْتَغْلُهُ يَدَيَّ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَلْعَبُ بِهِ عَقْلِي سَاعَةً
يَشَاءُ ؟ مَا عَظَمَتُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمَتِي ، حَتَّى يَعِيشَ ،
هُوَ ، إِلَى شِبْهِ الْأَبَدِ وَأَزُولُ أَنَا بَعْدَ دَوْرَاتٍ لِلشَّمْسِ
مَعْدُودَاتٍ ؟

لا لا إِنَّ سِرّاً خطيراً لا يزال ينتظر أن أفضحه، ودُرباً
في البحث غير التي أَسْتعملها الآن تنتظر كسفي . انني
في التنقيب عن الحقائق اعتمد طُرُقاً إِن هي — ساعة
لا تكون حواسي الخمس — الا امتدادات لحواسي
الخمس . وما قيمة حواسٍ وامتدادات حواسٍ عجزت
حتى عن تشعيري بدوران الارض تحتي ، مع ان
دوران الارض حقيقة يقرها الطفل ؟
إذن قد يكون بقائي او عدمه أهول من ان
يكشفه شمسٌ ولس ، بركازٌ ومسطرة ، تجربةٌ في مختبر
ومعادلةٌ لا ينشتين .

وإذا كانت الأديان لم تعطيني عنه براهين من
النوع الذي أطلب ، فان هناك استطلاعاتٍ أخرى في
مستوى المعجب يجب ان أقوم بها في صدد موضوع

المواضيع هذا . ولا بد اني سأخرج ، غداً ، من ذلك
العمل الضخم ، الذي اتدب اليه نفسي ، وقد باتت
بشريتي أكتف : قلبي أبصر بمطارح الظلمات وعقلي
أكثر استيعاباً لنار الوجود .

إن ما حققته على الأرض أعظم ، بما لا يحُد ،
مما حققته الأرض ، فلا يعقل ان تكون طبيعتها أجودَ
من طبيعتي ولا أكثر أهلية للبقاء .

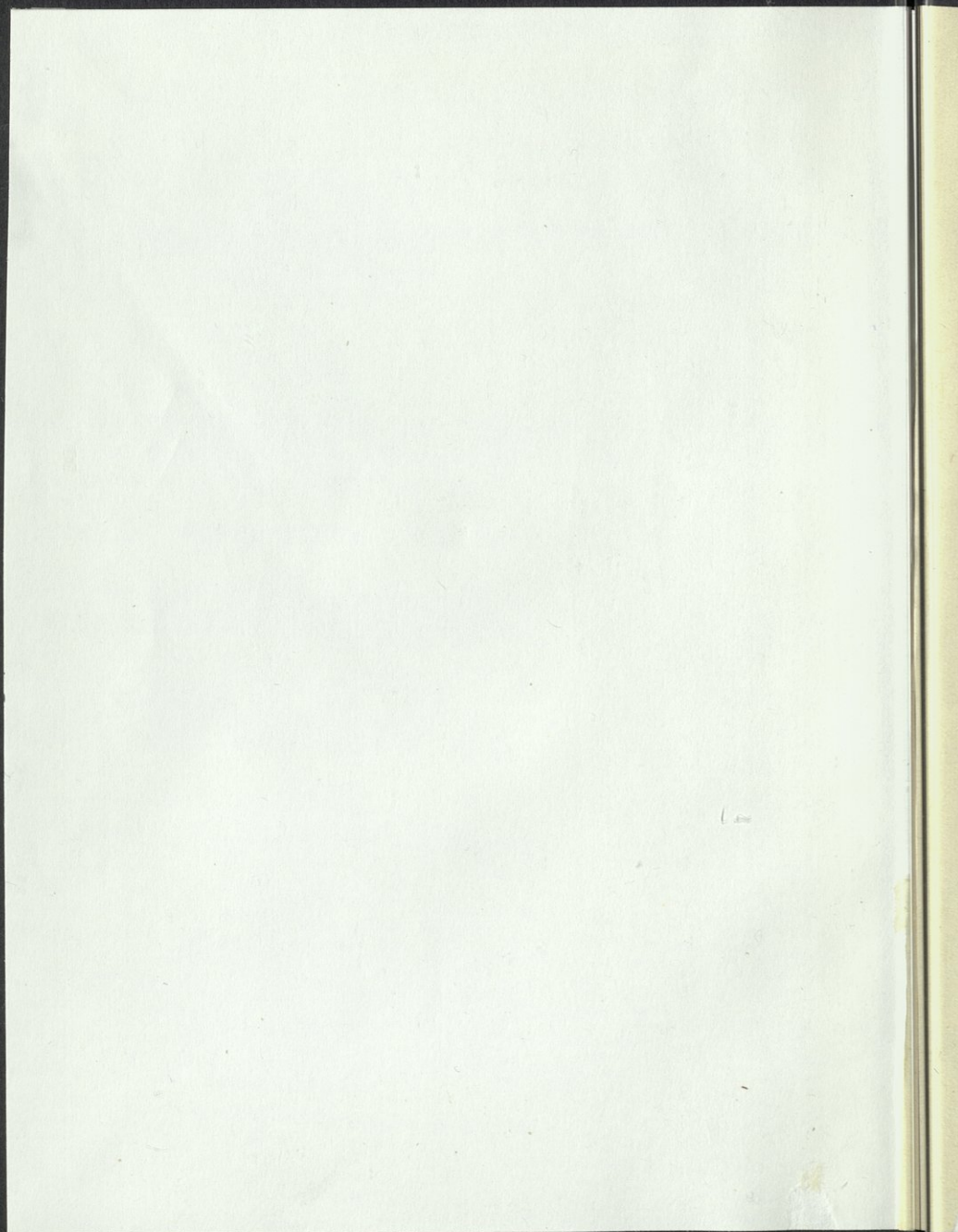
بلى بلى كما اني فقيرٌ إلى حاسة أخرى للتمكن من
الشعور بدوران الأرض تحتي ، فاني ولا بد فقيرٌ إلى
عقلٍ آخر للتمكن من اليقين بأنني باقٍ إلى الأبد .

وعندئذ — متى أدركتُ اني إلى هذا الحد العظيم —
أفلا يحظر لي ان أتساءل : هذان الشيطان البيّن الجبروت
« انا » الباقي إلى الأبد و « اللانهاية » التي تحيط بي ،

أَكِيدَ انهما ليسا من صنع يدي ، أفلا يلزم ان يكون
هناك — يُبَدَعُ اللانهاية ويبدعني — مَنْ هو أعظم من
اللانهاية وأَبْقَى من البقاء ؟

يا له موضوعَ بحثٍ ينتظر النخبة ، يكاد مجرد
التصدّي له يدفعها قليلاً جهة الألوهة . لانه أعظم
موضوع ، في أعظمِ اطار ، يشغل أعظمَ العقول .

تمّ طبعها على مطابع دار الكشف
في الخامس عشر من نيسان
سنة اربع وخمسين وتسعمائة والـف



AUB. LIBRARY

AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00479923

